مدارس اليونان

يُضرب المثل بعلم اليونان القدماء وحكمتهم حتى يومنا هذا فيتوق المرء الى معرفة الاساليب التي كانوا يجرون عليها في تعليم اطفالهم وتهذيبهم . وقد عثرنا الآن على مقالة مسهبة في هذا الموضوع للاستاذ هوبكنز الاميركي مدرّس اليونانية في مدرسة برون الجامعة جمع فيها كثيرًا مما تفرّق في كتب الاقدمين وآثارهم عن مدارس اليونان وكيفية القاء الدروس فيها وتعليم الاطفال وتهذيب اخلاقهم وترويض ابدانهم وذهب في فاتحة مقالته الى ما ذهب اليه اكثر الباحثين في تاريخ الاقدمين وهو ان اليونان اقتبسوا العلوم والفنون من المصريين والفرس والفينيقيين . ولا يخفى ان فريقًا من العلماء خالف ذلك الآن وجعل السبق لليونان في وضع العلوم والفنون

والظاهر ان اكثر ما يُعرف عن مدارس اليونان وكيفية تهذيب الصغار مأخوذ عما وُجد منقوشًا في آثارهم وخلاصة ذلك على ما قالهُ الكاتب انهم كانوا يطهّرون الطفل في اليوم الخامس او السابع من ولادته ويسمون ذلك اليوم يوم الطواف لانهم كانوا يطوفون به سبع مرات حول المذبح وكانوا يولمون الولائم فيه ويضعون فوق باب البيت غصنًا من الزيتون اذا كان المولود ذكرًا وجزةً من الصوف اذا كان انثى . ثم يسمونهُ باسمه في اليوم العاشر ويضحون ضحية حينئذٍ ويقدمون الهدايا للطفل من المعادن والخزف وتهدَى الهدايا الى امه من الآنية الخزفية المدهونة . وكان للاطفال شأن كبير عندهم كما لهم عندنا فكانوا يحبونهم ويأتمرون بأوامرهم حتى قيل ان القتلة كانوا يشفقون عليهم ويعفون عن ذويهم لاجلهم

وكان المهد الذي ينام فيه الطفل سلةً تعلّق بحبل ويرجح الطفل فيها . والوالدة ترضع طفلها او تستأجر لهُ ظئرًا ترضعهُ . وكانوا يفضلون الظئر الاسبرطية على غيرها لانها تعلم كيف تروّض جسمهُ وهي ترضعهُ . ويوصون الامهات بتعريض اطفالهم للهواء البارد ولو مات ضعاف البنية منهم ولا سيما في اسبرطة حيث كان اهتمام الناس بالقوة البدنية اشد منهُ بالذكاء العقلي . وكانوا يطرحون الاطفال الضعاف البنية والمشوّهي الخلقة للوحوش على الجبال . ذلك كان شأنهم في كل بلاد اليونان وبذلك علّم حكماؤهم وأدباؤهم لكي يهلك الضعيف ويحيا القوي فتصير الامة كلها من الاقوياء

وكان للاب سلطة مطلقة على اولاده اذا شاء احياهم واذا شاء امانهم ولا يحق لحاكم ان يعترضهُ الاَّ اذا كان من قتْل اولاده ضرر عام . وقد شبَّه سقراط حزن تلامذته على تركهم

خطاياه يحبونهُ بحزن والدة أخذ منها طفلها البكر . والظاهر ان الكبراء كانوا يقتلون بعض اولادهم اطفالاً لكي لا يكثر نسلهم فيزيد عما عندهم من المال

وكانوا يشرعون في تعليم اولادهم في السنة السابعة من عمرهم على اختلاف بينهم في ذلك. واكثر الالعاب المعروفة الآن كان الاولاد يلعبونها حينئذٍ كالصلج واللعب بالكجة (الطابة) والدوّامة والكعاب والحوطة . وكان الصغار والكبار يلعبون النرد ويسمون الشاش المكرَّر ثلاثاً باسم الزهرة واليك المكرَّر ثلاثاً باسم الكلب او الخمر . وفي متحف برلين الآن زهر مغشوش فيهِ مادة ثقيلة في احد جوانبهِ لكي يقع عليهِ فلم يكن الغش في اللعب مجهولاً عندهم . وكذلك مهارشة الديوك كانت شائعة عند الكبار والصغار وكانوا يعلمونها المكرَّاث قبل مهارشتها لكي تزيد شراستها

وكانوا يعتنون بآداب اولادهم اشد الاعتناء فيرسلونهم الى المدرسة مع عبد امين كبير السن يراقبهم في ذهابهم وايابهم ولا يسمح لهم بمعاشرة احد فيبقون تحت سيطرته من السنة السادسة الى السادسة عشرة

وكانت المدارس الابتدائية خارجية كلها وعلى نفقة الاهالي. وحسب شريعة صولون لا يجوز فتحها قبل شروق الشمس ولا بعد غيابها. ولم يكن التلامذة يُمتحنون امتحاناً يقصد بهِ اظهار معارفهم بنسبة بعضهم الى بعض الاَّ في الموسيقى والالعاب الرياضية فلا يتالمون من مشقة الاستعداد للامتحان على غير جدوى ما ينال اولادنا في هذه الايام وهم يستعدون لان ما يحصلونهُ في هذا الاستعداد يفقدونهُ سريعاً

وكان في كل بلد مدرسة ابتدائية وكانت مدارس المدن كبيرة متقنة البناء ومدارس القرى حلقات مكشوفة يقيم التلامذة فيها واذا اشتدَّ عليهم حرُّ الهاجرة استظلوا بارو قة المباني العمومية او بفيئها . وكانوا ينصبون تماثيل فلاسفتهم وعظمائهم في مدارسهم لكي يكونوا قدوةً لاولادهم وينصبون فيها ايضاً مذبحاً لمعبودات العلم . ويجلس المعلم على دكة مرتفعة والتلامذة على مقاعد متدرّجة او على الارض في حلقة حولهُ ويضع كلٌّ منهم كتابهُ او دفترهُ في حضنهِ وعصا التأديب بيد المعلم والقلق بجانبهِ ليقاص بهما المذنب . وقد وُجد في خرائب بمباي صورة معلم يضرب ولداً محمولاً على كتفي ولد آخر

اما العلوم التي كانت تعلم في هذه المدارس فهي القراءة والكتابة والحساب والموسيقى والرياضة وكانت الموسيقى تشمل الغناء واللعب على القيثار والرياضة تشمل الرقص ولم يكونوا يتعلمون لغات اجنبية حاسبين انهُ يجب على كل من سواهم ان يتعلم لغتهم

وكان الاولاد يتعلّمون القراءة في دفاتر ذات صور ويقرأون بصوت عالٍ ويستظهرون اشعار هوميروس وما فيه من الآداب الرفيعة (وهي لو ترجمت وطبعت بحرف المقتطف وقطعه لكانت نحو ثلثمئة صفحة) وقد كان اباؤهم يتناقلونها بالحفظ سلفاً عن خلف. وذلك مما لا نكاد نصدقه لان المطابع والكتب اضعفت قوة الذاكرة فينا

ويقال ان الدكتور شليمن الالماني مكتشف آثار تروادة بنى على نفسه ان لا يتزوج الاَّ بفتاة استظهرت اشعار هوميروس. وذات يوم جاءته فتاة يونانية وسألته عما اذا كان ما سمعهُ عنهُ صحيحاً فقال نعم فقالت اذن اسمع. وتلت عليه الاوذسي من اولها الى آخرها فاقترن بها واشركها في ثروته الواسعة

ولم يكن اليونان يعدُّون الكتابة لازمةً لهم كالقراءة لانهم حسبوها حرفة لا علماً فكانوا يعلّمونها لعبيدهم ويستخدمونهم كتّاباً ثم صار اغنياؤهم يتعلّمونها ويمارسونها على سبيل التكاهة ولكن علماءهم وخطباءهم بقوا يعتمدون على الكتّاب في ما يريد كتابتهُ

وكانت ادوات الكتابة عندهم لوحاً مغطّى بالشمع وقلماً من المعدن او العاج محدَّداً من احد طرفيه ومدملكاً من الطرف الآخر فينقش به الشمع بالطرف المحدَّد ثم تمحى الكتابة بالطرف الآخر وكان المعلم يكتب القاعدة للتلامذة في اعلى اللوح وهم يكتبون تحتها متمثلين بها. وقد وُجد بعض الالواح في قبر مصري وعليها ابيات من اشعار متندر وعلى واحد منها كلمة "مجتهد" يخط المعلم كأنهُ اطّلع على كتابة التلميذ فاستحسنها ومدح كاتبها

ولكنهم لم يكونوا يقتصرون على هذه الالواح بل كانوا يكتبون على الفردي والرقوق ويبرون الاقلام من القصب ويصنعون الحبر الاسود والاحمر. وقد فضّل كونتليانوس الكتابة على اللوح لانها لا تدعو الى تثبيت الافكار كالكتابة على القرطاس حاسباً ان سلسلة افكار الكاتب تنقطع وهو يحط قلمهُ في الدواة. وذلك يماثل ما قالهُ هلس المشيُّ الاميركي الشهير في مدح القلم الذي حبرهُ فيه فقد قال انهُ لا اصلح منهُ للشاعر والكاتب المتخيل لان معاني كثيرة تضيع من الكاتب وهو يحط قلمهُ الى ان قال ان هذا القلم يجري على القرطاس كطيران السنونو في الفضاء واما اقلام الريش والحديد والذهب فبريها متقطع وتقطرُ ان تقف كل آونة لتشرب وترتوي

وكانت كتب القدماء رقوقاً تدرج اي تلف على نفسها وترضع في صندوق مستدير. وكان عمر احسان ذهنيٌّ سهل الغالب يعلّم التلامذة الجمع والضرب والقسمة من غير ارقام هندية. وقد دلَّوا على الاعداد اولاً بالاصابع. وكانت عقودهم اولاً خمسات لا

عشرات فدلوا بالاصبع الواحدة (١) على الواحد وباصبعين (١١) على اثنين وثلاث (١١١) على ثلاثة وباربع (١١١١) على اربعة وباصبعين منفرجتين هكذا (V) على خمسة وبخمستين الواحدة فوق الاخرى هكذا (X) على عشرة . والاعداد الكبيرة كالمئات والالوف دلوا عليها بالحرف الاول من اسمها حسب النظام الروماني الجاري الى الآن . واستعملوا جدولاً فيه منازل للارقام وفي حصّى توضع فيه فيدل وضعها على العدد مثال ذلك لو قيل كيف نكتب ٥٨٣٩ لوضعت الحصى في الجدول هكذا

	خمسات	احاد
الوف	٥	
مئات	٥	٥ ٥ ٥
عشرات		٥ ٥ ٥
احاد	٥	٥ ٥ ٥ ٥

وكانوا يستعملون حساب الجمّل ايضاً وهو التعبير عن الارقام بالحروف الهجائية فالحروف التسعة الاولى للارقام العددية من الواحد الى التسعة والحروف العشرة التالية للعقود من العشرة الى التسعين . اما الهندسة فلم يكونوا يدرسونها في المدارس الابتدائية بل في المدرس الكبرى مع العلوم الفلسفية وكان درسها لازماً حتى كتب افلاطون على باب مدرسته ان لا يدخلها جاهل بعلم الهندسة

اما الموسيقى والرياضة البدنية فكان لها عندهم شأن كبير جدًّا وكانوا يقصدون بالموسيقى تهذيب النفوس لا مجرّد الطرب والتسلية وكانوا يعتقدون ان الانغام الحربية تجعل المرء شجاعاً باسلاً والانغام العشقية تجعله عاشقاً متهتكاً ولذلك لم يكونوا يسمحون لاولادهم ان يسمعوا من الاغاني الاّ ما يهذب نفوسهم ويرقي آدابهم بلفظه ولحنه لان للتلحين معنًى يؤثر في النفس كما للفظ فاما ان يعطفها نحو الفضيلة واما ان يميلها الى الرذيلة . وكان الحاكم يهتم بالاغاني ولا يجيز الفاسد منها . واشهر آلاتهم الموسيقية القيثار وكانوا في اول امرهم يشدون اوتاره على عظم السلحفاة

وكانوا يقصدون بالرياضة البدنية تقوية الجسم والعقل معاً فيمرّنون اولادهم على الجري لانهم كانوا يهتمون على اعدائهم جريًا ومَن يحسّ من نفسه بالمقدرة على السرعة في الجري يشعر بنشاط عام وتكبر نفسه فيه فيحتقر المخاطر ولا يبالي بالمشاق . وكان الاسبرطيون يفضّلون

القوة البدنية على كل شيء لانهم كانوا يحسبونها عنوان ارتقاء الامة اما الاثينيون فكانوا يهتمون بتقوية الجسم وتهذيب العقول على حدٍّ سوى ولكنهم كانوا يفضلون العقل على الجسد. وقد جعلوا الالعاب الوطنية في الاعياد الكبيرة وكانوا الغالبين باكاليل الظفر وعدّوا ذلك كلهُ بشعائر الديانة فصارت طاعة الآلهة معلقة بالرياضة البدنية

وضروب الرياضة عندهم خمسة وهي القفز والجري والرمي والجرّد والمصارعة. وكان الاولاد يتمرنون كل يوم على ضرب او اكثر من هذه الضروب وعليهم رقيب يراقبهم ويختار الضرب الذي يتمرنون عليهِ والغرض الاول الصحة لا المباهاة

لكنهم لم يكونوا يجعلون مقام المعلمين في المدارس الابتدائية ولا كانوا يدفعون لهم رواتب طائلة واما اساتذة المدارس العالية فكان لهم عندهم المقام الارفع وقد يكون راتب الاستاذ منهم خمسة آلاف جنيه في السنة ويقال ان راتب غورجياس استاذ البيان كان عشرين الف جنيه في السنة

مكتبة المدرسة الكلية السورية

محضرة وكيلها شكري افندي معلوف

المكتبة وهي الكتبخانة في اصطلاح اهل مصر من اهم لوازم المدارس تجمع فيها الكتب المختلفة ليطالعها الاساتذة والتلامذة توسعاً في الدرس واشغالاً لما فاض من الوقت. وللمكاتب شان كبير في كل الكليات والمدارس العليا حيث يقام لها غالباً ابنية خصوصية على اتم هندسة ويجمع فيها مئات الالوف من احسن المصنفات. وتفتح غرفة المطالعة فيها النهار كلهُ وبعض ساعات الليل فيطالع الاساتذة والتلامذة ما يهمهم مطالعتهُ ويستعيرون منها ما يشاؤون من الكتب ثم يرجعونهُ عند انقضاء المدة المعينة حسب نظام المكتبة

وكل من لهُ ادنى المام بترتيب المدارس يعلم ان المدرّسين يعتنون غالباً باختيار افضل المؤلفات لتدريس غير انهُ قلما يجري المؤلف الواحد كل المقتضيات لذلك بل قد يكون فيهِ غموض في بعض فصولهِ واسهاب في البعض الآخر مما يوجب الاستعانة بغيرهِ من المصنفات ليكمل حسن تحصيل ذلك الفن. فالمكاتب في هذه الحال من اهم لوازم المدارس لانها قد تجمع مؤلفات مطوّلة لثقات المؤلفين في كل علم يدرّس في المدرسة. فيستعين بها التلامذة على فهم ما اشكل عليهم من دروسهم وهم غير مدفوعين الى البحث عنهُ الاّ بدافع الرغبة